العلوم الثلاثة الازمة المتلازمة "التفسير والحديث والفقه"

تاريخها والعلاقة بينها

THE THREE MUTUALLY COMPLEMENTING ISLAMIC SCIENCES - TAFSIR, HADITH AND FIQH - THEIR RELATIONSHIP AND HISTORICAL OVERVIEW

د.سيف الله بوتو*

د.عبدالعزيز نهريو**

ABSTRACT:

Tafsir (Quranic Exegesis), Hadith (Prophetic Traditions) and Fiqh (Islamic Jurisprudance) are main and inter-related branches of Islamic Sciences. This article shows how they are inter-related to each other and to which extent it is important for a scholar who wants to be expert in Islamic Sciences to learn these sciences. By looking at the creation and development process of these sciences it is clearly evident that these three branches are so closely inter-related to one another that if some scholar wants to specialise in any of these three he can not do it without mastering other two. We have adopted a simple methodology for the preparation of this article. We first of all have defined each of the above three branches literally and terminologically. Then showed the historical back ground of each. Then proved the co-relationship of these three branches of Islamic sciences and finally provided the list of reference books we have benefitted from for the preparation of this article.

KEYWORDS: Tafsir, Fiqh, Sciences, Hadith, Co-relationship

الكلمات المفتاحية: التفسير , علوم ,الفقه ، الحديث , العلاقة

مدخل:

إن شريعة الإسلام نعمة عظيمة من نعم الله عز وجل, فلا نجاح للانسان والسعادة في الدنيا والآخرة الا بإتباع الشريعة واول مرحلة إتباعها هى طلب علمها التي اشار اليها الرسول عليه الصلوة والسلام بقوله طلب العلم فريضة على كل مسلم.[١] والمراد بالعلم العلم الشرعى المقصود بالذات ومداره على التفسير والحديث والفقه كما ذكره ابن حجر في الفتح.[٢]

* أستاذ مساعد ، شعبه علوم الاساسي ، جامعه قاعد عوام بي نظير آباد ، السند

** أستاذ مساعد ، سجل سرمست كلية الحكومية ، حيدرآباد ، السند

فهذه العلوم الثلاثة علوم اساسية تدار حولها بقية العلوم. وهي أمهات الفنون وما يتبعها فوسائل. وقد ذكر السيوطي اجماع العلماء على ان التفسير من فروض الكفايات واجل العلوم الثلاثة الشرعية فمراده من " العلوم الثلاثة الشرعية" هي علوم القرآن وعلوم الحديث وعلم الفقه كما صرح به المحشي.[٣] وكما ذكر ان هذه العلوم الثلاثة هي اشرف العلوم.[٤] و عد أحمد بن علي بن ثابت الرفاعي الحسيني هذه العلوم الثلاثة من "العلم الجامع الأتم".[٥] وقال علي القاري نقلا عن خواجه عبيد الله السمرقندي أن ثلاثة علوم علم التفسير والحديث والفقه هي خلاصة العلوم المتداولة.[٦]

وقال ابن الجوزي ان من تلبيس ابليس إشغاله جمهور أهل اللغة والأدب بعلوم النحو واللغة عن معرفة ما يلزمهم عرفانه من العبادات... و عن ما هوأفضل من علوم التفسير والحديث والفقه.[٧] وقال المناوي في شرح حديث *إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة قال مجالس العلم* " وقال غيره أراد العلوم الثلاثة التفسير والحديث والفقه".[٨] حتى حصر العلم الشرعي في هذه العلوم الثلاثة.[٩]

وعنى الأسيوطي ب"علماء الشرع" اهل التفسير والحديث والفقه.[١٠] فبهذه العلوم الثلاثة يعرف المسلم أمور دينه وينور أفكاره و يحفظ بها دينه ونفسه وعقله ونسله وماله الذي هو مقصود الشرع.

قال ابن حجر "والمراد بالعلم العلم الشرعي الذي يفيد ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته والعلم بالله وصفاته وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه".[١١]

نظرا لأهمية هذه العلوم الثلاثة اردنا ان نقدم مختصرا من تاريخها ونستكشف علاقة بعضها ببعض فبذلنا جهدنا حتى المقدور ان نجعله صحيحا و نافعا لنا و للقارئين فالسعي عن العبد والنتيجة والقبول عن المعبود الواحد الصمد.

اخترنا المنهج البسيط في هذا البحث وهو عرفنا اولا كلا من التفسير والحديث والفقه لغة و اصطلاحا ثم اوردنا مختصرا من تاريخ كل منها ثم ذكرنا العلاقة بين هذه العلوم الثلاثة واخيرا اوردنا المصادر والمراجع التي استفدنا منها في اعداد هذه المقالة.

التفسير:

تعريفه:

– التفسير لغة: هو تفعيل من الفسر وهو البيان والكشف ويقال انه قلب من السفر يقال أسفر الصبح إذا أضاء وقيل ايضا انه أخذ من التفسرة التي هي اسم لما يعرف به الطبيب المرض.[١٢]

و اصطلاحا: هو اسم لعلم يبحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع. ولا احتياج الى بيان المناسبة بين المعنيين الاصلي والمنقول اليه.[١٣]

الحاجة الي التفسير:

"واما بيان الحاجة إليه فلأن فهم القرآن العظيم المشتمل على الأحكام الشرعية التي هي مدار السعادة الأبدية وهو العروة الوثقى والصراط المستقيم أمر عسير لا يهتدي إليه إلا بتوفيق من اللطيف الخبير حتى أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم على علو كعبهم في الفصاحة وإستنارة بواطنهم بما أشرق عليها من مشكاة النبوة كانوا كثيرا ما يرجعون إليه بالسؤال عن أشياء لم يعرجوا عليها ولم تصل أفهامهم إليها.... ولا شك أنا محتاجون إلى ما كانوا محتاجين إليه وزيادة".[١٤]

تاريخ التفسير الذي بدأ مع نزول الوحي:

والتفسير هو أول العلوم الإسلامية التي ظهرت في بداية الاسلام، إذ قد ظهر التعمق فيه في زمن نبينا عليه الصلاة والسلام، اذ كان بعض الصحابه يسألونه عن مفاهيم بعض الآيات الخفية والمشكلة التي خفى عليهم مفهومها الحقيقي واشكل عليهم الادراك الصحيح كما سأله الخليفة الثاني العادل عمر بن الخطاب رض عن معنى الكلالة، وهو أيضا رأس العلوم الإسلامية و أشرفها بلا ريب.

والخبر عن تصنيفه ان عبد الملك بن جريج (٨٠ – ١٤٩ هـ) كان اول من قام باهتمامه فاورد في كتابه الروايات التفسيرية لآيات كثيرة المرويات عن أصحاب عبد الله ابن عباس مثل مجاهد و عطاء. وصنفت بعض التفاسير التي نسبت روايتها إلى عبد الله بن عباس، لكن تكلم أهل الفن فيها. منها "تفسير محمد بن السائب الكلبي" (ت ١٤٦ هـ) عن أبي صالح عن عبد الله بن عباس، وهي أوهى الروايات لان أبا صالح قد رمي بالكذب فإذا انضم إلي هذه الرواية رواية محمد بن مروان السدى عن الكلبي فتكون سلسلة الكذب، أريد بذلك ضد ما لقبه اهل الفن بسلسلة الذهب، وهي رواية مالك بن انس عن نافع مولى ابن عمر عن عبد الله بن عمر.[١٥]

فمن جملة هؤلاء من اختار فى التفسير نهجا آخر وهو بطريق ما ينقل و يُروى عن السلف , المعروف بالتفسير بالمأثور، فمالك ابن أنس كان أول من صنف في هذه الطريقة و محمد بن جرير الطبري في تفسيره المسمى بجامع البيان في تأويل القرآن وهو أشهر أهل هذه الطريقة فيما هو بأيدينا وكذلك الداودي تلميذ عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي في طبقات المفسرين.

ومنهم من اختار الطريقة النظرية كأبي علي الفارسي وأبي إسحاق الزجاج ، واشتغل كثير بنقل الروايات الإسرائيليات فى القصص ، فكثرت الموضوعات في مؤلفاتهم ، إلى أن جاء عالمان كبيران في عصر واحد وفي منطقتين بعيدتين عن بعضهما ببعض بعد المشرق والمغرب , احدهما الشيخ عبد الحق بن عطية فألف هو تفسيره المسمى ب"المحرر الوجيز" بالمغرب بالأندلس والثاني العلامة أبو القاسم محمود بن عمرو بن احمد جارالله المعروف بالزمخشري ، بالمشرق , الذي الف تفسيره المسمى ب"الكشاف عن حقائق

التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل" المشهور ب"الكشاف". كلا العالمين يلتفتان الى التفسير اللغوى للآيات ويأتيان بما يدل على هذا التفسير اللغوي من كلام العرب ويذكران كلام المفسرين السابقين. [١٦]

قسم الدكتور محمد حسين الذهبى تاريخ التفسير في المراحل الثلاثة وفي الخطواة الخمسة:

المرحلة الأولى للتفسير: هو عهد النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه. كان اعتماد الصحابة فى هذا العهد فى تفسير القرآن المجيد على أربعة مصادر:

١: القرآن الكريم نفسه.

٢: الرسول عليه الصلاة والسلام.

٣: الاجتهاد وقوة الاستنباط.

٤: أهل الكتاب

المرحلة الثانية: تتم مرحلة التفسير الأولى بانتهاء عهد الصحابة، وتبدأ المرحلة الثانية للتفسير من عصر التابعين الذين قرأوا على الصحابة الكرام وحصلوا على اكثر معلوماتهم عنهم.

المرحلة الثالثة للتفسير وهو عصر التدوين للتفسير: تبتدأ هذه المرحلة للتفسير مع بداية عصر تدوينه، و تمتد من أواخر العهد الامويّ الى أوائل العهد العباسي.

الخطوة الاولى للتفسير:

في هذه الخطوة كان التفسير يُتناقل بطريق الرواية، بان الصحابة ينقلون عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، كنقل بعضهم عن بعض. و روى التابعون عن الصحابة. كرواية بعضهم عن بعض.

الخطوة الثانية:

وهي بعد عصر الصحابة والتابعين حيث ابتدأ التدوين لحديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فكانت أبواب متفرقة في كتب الحديث وكان التفسير علما على حدة بل كان عنوانا من جملة عناوين الحديث التي احتوى عليها الحديث ولم يُؤلّف على وجه الاستقلال بأن يفسر القرآن سورة سورة و آية آية من بدايته الى نهايته.

الخطوة الثالثة:

انفصل في هذه الخطوة تفسير القرآن عن حديث الرسول عليه الصلوة والسلام ، فأصبح علماً قائماً بنفسه ، و فسرالقرآن آية آية ورُتّبت التفاسير على حسب ترتيب المصحف الشريف.

الخطوة الرابعة:

ثم إن التفسير رفع بعد ذالك قدما رابعة لم يتقدم بها على حدود التفسير بالمأثور وان كانت روايته قد

تكاثرت بالإسناد فقام كثير من الناس بتصنيف التفسير بنموذج جديد وهو نموذج اختصار الاسانيد ونقل المرويّات دون ان تُنسب الى من قالها , فحلّ الوضع في التفسير وكثر الزيف والتبس الصحيح بالضعيف والعليل.

الخطوة الخامسة:

فبعد أن اقتصر تدوين التفسير على المرويّات المنقولة عن السلف , تجاوز بهذه الخطوة الواسعة الى تفسير الادراك العقليّ (التفسير بالرأي) بالتفسير النقلى. فهى أوسع الخطوات وأفسحها، امتدت من العهد العباسى إلى يومنا هذا.[١٧]

الحديث:

تعريفه:

لغة: الجديد ويجمع على احاديث على خلاف القياس

اصطلاحا: ما أضيف إلى النبي عليه صلواة الله وسلامه من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.[١٨]

و قال المباركفوري: الحديث: لغة: الجديد، واصطلاحاً: هو ما أضيف إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خُلقي أو خِلقي، أو ما أضيف إلى النبي – عليه الصلاة والسلام – أو إلى من دونه من الصحابي والتابعي كذلك.[١٩]

تاريخ تدوين الحديث:

رأي الدكتور يوسف القرضاوي عن تاريخ تدوين الحديث:

ومن الثابت بيقين لدي الباحثين المتخصصين اليوم ان تدوين السنة لم يبدأ في رأس المأة الأولي للهجرة، كما قيل يوما, بل ان للتدوين اطوار بدأت منذ عصر النبوة ونمت بعد ذالك, كما دلت علي ذالك الدراسات العلمية الموضوعية.[٢٠]

قسم نور الدين عتر تاريخ الحديث في سبعة أدوار:

"علوم الحديث" تدرج عبر التاريخ يبين أدواره التي مر بها حتى يومنا هذا ، وهي أدوار سبعة نوردها اختصارا في التالي:

الدور الأول: يبدأ من زمن الصحابة رضي الله عنهم ويمتد إلى نهاية القرن الأول من الهجرة ويقال هذا الدور دور النشوء:

نشأ علم الحديث في هذا الدور بوجهين:

١.حفظ الحديث: كان الصحابة على إدراك ووعي للحديث النبوي الشريف، لتوفر الأسباب، والدواعي لحفظ الحديث ولا كلام في أن العرب هم أمة أمية التي لا تعرف القراءة والكتابة. ومن المعلوم

ان الأمي معتمد على ذاكرته فتنمو وتقوى لتسعفه حين الحاجة ، لذلك عرفوا بالحفظ و الذكاء العجيب.

٢ – كتابة الحديث: الكتابة كما هي من أهم وسائل حفظ المعلومات ونقلها للأجيال صارت من اهم وسائل نشأ الحديث بعد حفظه. ولقد وردت الاحاديث الكثيرة المتواترة عن كثير من اصحاب النبي عليه الصلاة والسلام في إثبات وقوع الكتابة للحديث النبوي الشريف في عهد نفسه عليه الصلاة والسلام ,كما روى الامام البخاري عن أبي هريرة رض: "ما من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام أحد أكثر حديثا عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب".

وقعت الكتابة في مرحلتين.

المرحلة الأولى: هي مرحلة جمع الحديث لان بعض الصحابة كان يكتب ما سمعه من رسول الله عليه الصلوة والسلام في صحف شخصية دون أن تتداول بين الناس , بدأت هذه الكتابة باذن الرسول عليه الصلاة والسلام و منذ عهده. ومما ورد كتابته من الحديث في عهده عليه الصلاة والسلام:

١ -: صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص كتبها لنفسه المشهورة بالصحيفة الصادقة

٢ – صحيفة علي بن أبي طالب: المشتملة على أحكام فكاك الأساري و على العقل. وهي صحيفة صغيرة.

٣ – صحيفة سعد بن عبادة الصحابي الجليل –١٥هـ.

٤ – رسالاته عليه الصلاة والسلام المتعلقة بتدبير شؤون الأقاليم الإسلامية وأحوالها. كتبها إلى أمراء وعمال الأقاليم المختلفة

٥ – رسالاته عليه الصلاة والسلام إلى أمراء العرب وعظمائه وإلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام كرسالته إلى المقوقس بمصر وإلى ملك الروم هرقل ، وغير ذلك.

٦ – معاهداته و عقوده مع الكفار كصحيفة المعاهدة بين المسلمين واليهود وغيرهم فى المدينة في دستور التعايش , و كصلح الحديبية، وصلح تبوك وغير ذلك

٧ – رسالاته التي أمر بها عليه الصلاة والسلام لبعض من الصحابة لامور مختلفة، كخطبته التي كتبها لأبي شاه اليماني.

ولكن الصحف والكتب المذكورة كانت بين أيدي الناس بمنزلة المذكرات فلما كثر قراء القرآن وحفاظه و انتشرت علومه وأمن على القرآن أن يلتبس به غيره عند الناس أو أن لا يفي بكفاية المجتمع وقع إقبال الأمة على تدوين الحديث بأمر الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز وتداولت صحفه المكتوبة بين الناس.

الدور الثاني: ومن هنا يبدأ الدور الثاني وهي المرحلة الثانية للكتابة. اكتملت في هذا الدور علوم الحديث

إذ وجدت كلها واحدا واحدا وخضعت للقواعد المتداولة بالعلماء. وذلك من مبدأ القرن الثاني إلى أول الثالث.

فمن اهم الامور التي جدت في هذا العصر :

١– ضعفت ملكة الحفظ في الناس

٢– كثرة الاحاديث ودخول القوادح الكثيرة والعلل الظاهرة والباطنة فيها وطوالة الاسانيد وتشعبها بسبب بعد العهد وكثرة حملة الحديث لان حمل جماعات كثيرة الحديثَ عن كل من الصحابة وتفرقوا فى البلاد.

٣– ظهور الفرق المنحرفة عن الطريق النبوي الشريف الذي كان عليه الصحابة رضي الله عنهم وارضاهم ومن تبعهم بإحسان، كالخوارج والمعتزلة والجبرية وغيرهم. فتحرك علماء الامة لمقابلة هذه الضرورات ووضعوا لكل طالع ما يسد الخلل الحاصلة ومن ذلك:

١– التدوين الرسمي، فقد شعر عمر بن عبد العزيز بالضرورة التي لا غنى عنها للإدّخار كنوز النبوة فامر علماء الأمصار المختلفة تحت خلافته ان يجمعوا و يكتبوا ما عندهم من الحديث ويدونوه ان لا يضيع بعد ذلك. فكتب أبو بكر بن عبد الرحمن و الزهري وغيرهما ما في آفاقهم من الحديث، وجمعت الأحاديث في المصنفات والجوامع ، كمصنف عبد الرزاق ت ٢١١ه ومصنف حماد بن سلمة ت ١٦٧ه وكجوامع سفيان الثوري ت ١٦١ه ، معمر بن راشد ت ١٥٤ه و سفيان بن عيينة ت ١٩٨ه.

٢– توسع العلماء في جرح الرجال وتعديلهم وفى الطعن فيهم لكثرة شوائب الضعف من جهتين : الضعف فى الحفظ و انتشار البدع و الأهواء . فتفرغ جماعة من الأئمة كسفيان الثوري ' شعبة بن الحجاج ت ١٦٠ه و عبد الرحمن بن مهدي ت ١٩٨ه وغيرهم لنقد الرجال والكلام عليهم واشتهروا به.

٣– توقف العلماء في قبول الحديث ممن لم يعرف به.

٤– تفحّصوا الأحاديث لإجلاء الخفايا والمستورات وإظهار الخبايا ووضعوا لكل صورة جديدة قاعدة وصيغة تعرفها وتبين حكمها فتكاملت أنواع الحديث ووجدت كلها واتخذت اصطلاحاتها الخاصة.

الدور الثالث: دور تدوين علوم الحديث بالتفريق وكان ذلك من القرن الثالث من الهجرة إلى نصف القرن الرابع الهجري.

والقرن الثالث وهو عصر التدوين للحديث وعلومه على وجه الكمال والتمام. في بداية هذه الدور افرد العلماء بتصنيف حديث الرسول عليه الصلوة والسلام ، فابتكروا لذلك مصطلح "المسانيد" سرّدوا فيها

الاحديث النبوية الشريفة حسب أسماء الصحابة الذين رووا الاحاديث عن رسول الله عليه الصلوة والسلام، فالأحاديث المروية عن عبد الله بن عباس مثلا تجمع كلها في مكان واحد تحت عنوان مسند ابن عباس .

ثم جاء البخاري وقام بجمع الأحاديث وترتيبها حسب حسب الابواب ليكون الرجوع اليها امرا سهلا ويتيسر التفقه فيها. فصنف كتابه المشهور المسمى ب "الصحيح البخاري" على نحو هذا الترتيب والتسريد. وجاء بقية الستة وهم من تلامذته سوى النسائي فوضع كل منهم كتابه على الأبواب، و اختار حسن الاختيار، ولو انهم لم يشترطوا الصحة لتصانيفهم في رواية الحديث وعلومه ، ولذلك كانت مدرسة البخاري مفضلا على غيرها. ثم جاء ابن خزيمة "٣١١ه" و ابن حبان "٣٥٤ه" وسلكا طريقة الشيخين في اشتراط الصحة فى الحديث.

الدور الرابع: عصر يمتد هذا الدور من نصف القرن الرابع الهجري إلى مبدأ القرن السابع , وقع فيه التآليف الجامعة وانبثق فيه فن علوم الحديث مدونا حيث حيث اعتنى العلماء في هذه الفترة باستدراك ما فات السلف وجمعوا مؤلفاتهم المتفرقة فى الفن الواحد واعتمدوا في ذلك على المنقولات عن العلماء السابقين بالاسناد اليهم شأن من كان قبلهم من السالفين فالفت كتب كثيرة لا تزال مراجع للناس دون استغناء ولا رغبة عنها، ومن أهمها:

١ – "المحدث الفاصل بين الراوي والواعي" تأليف القاضي أبو محمد الرامهرمزي الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد ت ٣٦٠ ه.

٢ – "الكفاية في علم الرواية" للخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي ت ٤٦٣ه.

٣ – "الإلماع في أصول الرواية والسماع"، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي ت ٥٤٤ه.

٤ – "معرفة علوم الحديث" للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري ت ٤٠٥ه.

٥ – "المستخرج" لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ت ٤٣٠هـ..

٦ – "ما لا يسع المحدث جهله" هي رسالة صغيرة لأبي حفص عمر بن عبد المجيد الميانجي ت ٥٨٠ه.

الدور الخامس: وهو عهد وصول تدوين الحديث حدّ الانتهاء والتمام وذالك من القرن السابع الى القرن العاشر. في هذا العهد بلغ تصنيف الحديث الشريف قمّة الكمال و ذروة التمام وتمَّ وضع المؤلفات التي اكتملت بها أنواع العلم الشريف، وجمع إلى ذلك تحرير المسائل و تهذيب العبارات بدقة. وكان مصنّفوه من كبار الأئمة الذين استوعبوا الحديث حفظا ووعيا وتشرَّبوا فنونه وأحوال أسانيده ومتونه روايةً ودرايةً. ومن أهم المؤلفات في هذا الدور بعد علوم الحديث:

١ – "الإرشاد" تأليف الإمام النووي يحيى بن شرف الدين ت ٦٧٦هـ..

٢- "التبصرة والتذكرة" منظومة تشتمل على ألف بيت للإمام الحافظ عبد الرحيم بن الحسين ت ٨٠٦هـ..

٣- شرح للحافظ العراقي أيضا وضعه على كتاب ابن الصلاح: "التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح" ويسمى "النكت" أيضا.

٤- شرح العسقلاني الحافظ أحمد بن علي بن حجر ت ٨٥٢هـ "الإفصاح على نكت ابن الصلاح" وهو يوجد في الهند في شكل المخطوط.

٥- "فتح المغيث شرح ألفية العراقي في علم الحديث"، للسخاوي الحافظ شمس الدين محمد ت سنة ٩٠٢هـ.

٦- "تدريب الراوي شرح تقريب النواوي" للسيوطي الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ت سنة ٩١١هـ.

٧- "نخبة الفكر" وشرحه "نزهة النظر" كلاهما للحافظ ابن حجر.

الدور السادس: وهو عصر الجمود و الركود. وقد امتد ذلك من القرن العاشر إلى أوائل القرن الحاضر من الهجرة. في هذا الدور توقف الابتكار في التصنيف والاجتهاد في مسائل العلم عموما وكثرت المختصرات في علوم الحديث نثرا وشعرا ، وبدأت المناقشات اللفظية لعبارات المؤلفين السابقين بدون التعمق والتبحر فى الموضوع تحقيقا أو اجتهادا. ومن اهم التأليفات التي الفت في هذا الدور:

١- "المنظومة البيقونية"، للبيقوني عمر بن محمد بن فتوح الدمشقي ت "١٠٨٠هـ"

٢- "توضيح الأفكار" للأمير الصنعاني محمد بن إسماعيل ت "١١٨٢هـ".

٣- شرح النخبة المسمى بنزهة النظر والمعروف باسم شرح الشرح للهروي الشيخ علي بن سلطان القارئ ت "١٠١٤هـ".

الدورالسابع: دور النهض والتنبه في العصر الجاري. من مبدأ القرن الحالي من الهجرة إلى يومنا هذا، وفيه وقع تنبه الأمة للأخطار المحيطة الناشئة حيث اتصل العالم الإسلامي بالشرق والغرب، فقد أثار المستشرقون السنة باظهار شبهات حولها وادخال دسائس فيها وتلقفها اناس ضعفاء الايمان والعقيدة النفوس من عبيد الأجنبي،مما اقتضى تأليف أبحاث حولها والرد على أغاليط المستشرقين وافتراءاتهم، فرد العلماء بهذه المطالب الباطلة الضالة عن الصراط المستقيم بتصنيف وتأليف الكتب المبتكرة النافعة نذكر بعضا منها فى التالي:

١- "قواعد التحديث" للشيخ جمال الدين القاسمي

٢- "مفتاح السنة". لعبد العزيز الخولي

٣- "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي"، للدكتور مصطفى السباعي، وهو كتاب مفيد يبحث عن

هؤلاء المستشرقين وموافقهم الباطلة ضدّ الاسلام والسنة ويُظهر عنادهم وجحودهم لقبول الحق وإن كان قد اقيمت عليهم البراهين والدلائل.

٤ – "الحديث والمحدثون" للشيخ الدكتور محمد محمد أبو زهو

وهكذا تعاقبت سلسلة المساعي العلمية متكاثرة و متتابعة لأخذ الحديث النبوي الشريف وإبلاغه تلقّيا وامتثالا , فنّا وعلما , رواية ودراية , قراءة وشرحا منذ خير القرون النبوي إلى زماننا هذا. فيمكن الآن لكل احد في ايّ وقت شاء ان يجد الطريق الى معرفة الحديث الصحيح السليم والتفريف بينه وغيره حتى بلغنا الأحاديث النبوية نقيّة عن كل ضعف وصافية عن كل وضع وتدليس وهذه هي الكرامة التي كرّم الله بها هذه الامة في قوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}. [٢١]

الفقه:

تعريفه:

لغة: العلم بالشيء والفهمُ له. [٢٢]

وفى الاصطلاح: هو العلم بالأحكام الشرعية العلمية المكتسبة من ادلتها التفصيلية بالاستدلال. [٢٣]

تاريخه:

الأطوار التي مر بها الفقه الإسلامي :

وقد مر الفقه الإسلامي عن أطوار متعددة يتداخل بعضها في بعض:

الطور الأول : هو في عصر النبوة المشتمل على عهديه المكي والمدني. كان يُعتمد في هذا الطور كل الاعتماد على الوحي ، حتى إن المسائل التي اجتهد فيها الرسول عليه الصلاة والسلام أو اجتهد فيها أصحابه في حضرته أو غيبته ثم علمها فأقرها أو أنكرها تعتمد على الوحي. ومن هنا يتّضح ان هذا العصر لم يقبل ايّ اثر لفقه جديد غريب من هنا او هناك لان الرسول عليه الصلوة والسلام كان اميا لم يكن يعرف القراءة ولا الكتابة فلم يرجع الى ايّ استاذ ولا معلم قط , وقد وُلد وترعرع في قوم اكثرهم اميّون جُهّال لا علاقة لهم بالقانون الرومانيّ او نحوه. ولم يكن في هذا القسط من العهد تدوين شئ غير القرآن الكريم ومنع الرسول عليه الصلاة والسلام عن كتابة ما يقوله من دون القرآن مخافة التباس كلام الله بكلام الرسول عليه الصوة والسلام كما حدث بسوبق الامم. فلم يدون في هذا الدور إلا القرآن الكريم.

الطور الثاني : عهد الصحابة : يتميز هذا العهد بكثرة الأحداث التي حدثت بعد عهد النبوة ، لكثرة

الفتوحات واختلاط المسلمين بغيرهم من الأمم التي لها أعراف التي لم توجد فی العرب . وكان يتميز هذا العهد بوجود الصحابة الذين عرفوا بالفقه واحاطوا به واصبحوا مراجعا للناس في نزول الحوادث . وكان منهم من كثّروا في الفتاوی وَهم لا يتجاوزون ثلاثة عشر شخصا . نذكر منهم : عمر و عليا و عائشة و عبد الله بن مسعود و عبد الله بن عباس و معاذ بن جبل و زيد بن ثابت و عبد الله بن عمر إلخ. وفي صدر هذا العهد ، وبالخصوص في عهد الخليفتين الاوليين أبي بكر وعمر رضي الله تعالی عنهما ظهر الإجماع مصدراً ثالثاً سوی الكتاب والسنة واصبح مرجعا لمن جاء بعدهما. و في هذا العهد أيضا وقع تدوين القرآن العظيم فقط، فان السنة وفتاوی الصحابة في المسائل المختلفة المستحدثة كانت تنقل حفظا في الصدور ، إلا أن بعض الناس كانوا يدوون بَعْضَ هذه الأمور لانفسهم لتكون تذكرة لهم.

الطور الثالث : طور التابعين الذي هو طور امتداد لعهد صغار الصحابة ، مع ان قد اشترك أكثر من الصحابة والتابعين في حروب الفتنة يتميز هذا العهد بوجود مدرستين : إحداهما بالحجاز ، فكان اعتماد هذه المدرسة في الاجتهاد عَلَی نصوص من كتاب وسنة ، ولا ترجع إلى الأخذ بالرأي إلا نادرا لوجود المحدثين بالوفرة هناك. والأخرى بالعراق. فكانت هذه المدرسة ترجع إلى الرأي كثيرا وكان عبد الله بن مسعود رضی الله تعالی عنه و ارضاه عميد هذه المدرسة. فاستمر علی طريقه تلامذته ، كعلقمة النخعي اولهم واشهرهم ، ثم من بعده إبْراهيم النخعي الذي تخرج أئمة هذا المذهب عليه. لكن لا يلزم من هذا ان اهل مَدرسة الحجاز كانوا لا يعملون بالرأي اصلا بل الحقيقة خلاف ذالك كفيها ربيعة بن عبد الرحمن الذي كان يعتمد على الرأی كثيرا حتی اشتهر بربيعة الرأي وكان شيخ الإمام مالك , وايضا في مدرسة العراق كان عامر بن شراحبيل المشهور بالشعبي الذي كان يكره الأخذ باالرأي.

الطور الرابع : وهو عصر بقية التابعين وعصر تابعي التابعين العظام الاولين يمكن ان يبدأ هذا الطور في نهاية القرن الاول الهجري وبداية القرن الثاني وتمتاز بانها قد شُرع فيها تدوين السنة مخلوطة بفتاوی الصحابة وغيرهم من التابعين وذالك بما امر امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز قد سبق ذكره في تاريخ الحديث حيث يبدأ هذا الدور من عهده رح . و بدأت تظهر المسالك و المذاهب الفقهية المتفرقة المتميزة في نهاية هذا الطور. كما أن هذا الطور شهد تطور التدوين ، فبعد أن كان التدوين مختلطا وممتزجا بدأ يأخذ طريق الترتيب والتنظيم ، وكان هذا الطور طليعة للطور الخامس.

الطور الخامس : طور الاجتهاد و طور الأئمة الكبار الكرام. يبدأ هذا الطور مع بداية اليقظة العلمية الناشئة في الدولة الإسلامية من أواخر عهد الأمويين إلى نهاية القرن الرابع من الهجرة تقريبا. هذا الطور يتضمّن عصر الأئمة الكبار والقدوة المنتسبين ومجتهدي المذاهب وصاحبوا الترجيح. وكذالك يتناول هذا العهد عهد تدوين المسالك الفقهية على وجه علمي دقيق. وهو أيضا عهد ظهور الفقه التقدِيري

المشهور عند اهل العلم بالفقه الافتراضي , فكانت مدرسة العراق اكثر وأعظم في هذا النوع الفقهي من قبل ظهور أبي حنيفة رحمه الله تعالى عنه وتلامذته.[٢٤]

العلاقة بين هذه العلوم:

لقد ثبت العلاقة والصلة والالتزام بين هذه العلوم الثلاثة العظيمة متى نظرنا الى مختصر تاريخها لأننا قد وجدنا ان هذه العلوم الثلاثة قد نشأت و نمت متلازما و مقارنا في الأدوار المختلفة من القرن الاول الى يومنا هذا. ويدل عليه ايضا بعض آى القرآن واحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام و اقوال العلماء نذكرها فيما يلي:

ذكر الحديث والفقه في آية من القرآن:

وَلو رَدّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الَّذِين يستنبطونه منهم.[٢٥] يدل لفظ" إِلَى الرَّسُولِ" علي الحديث و لفظ "يستنبطونه" علي الفقه.

العلاقة بين القرآن والسنة:

"فاالقرآن هوالدستورالذي يحوي الاصول والقواعد الاساسية للاسلام:عقائده و عباداته و اخلاقه و معاملاته وآدابه, والسنة هي البيان النظري والتطبيق العلمي للقرآن في ذالك كله".[٢٦]

اثبات علم التفسير والفقه في حديث الرسول عليه الصلوة والسلام حيث دعا لعبد الله بن عباس رض بالفقه والتفسير قائلا: *اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل*.[٢٧]

وقال ابن الجزي في التسهيل:

"واما الحديث فيحتاج اليه المفسر الى روايته وحفظه لوجهين: الأول ان كثيرا من الآيات في القرآن نزلت في قوم مخصوصين و نزلت بأسباب قضايا ووقعت في زمن النبي عليه الصلاة والسلام من الغزوات والنوازل والسؤالات لابد من معرفة ذالك ليعلم في من نزلت الآيت و متى نزلت فان الناسخ يبني على معرفة تاريخ النزول لان المتأخر ناسخ للمتقدم.. الثاني انه ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام كثير من تفسيرالقرآن فيجب معرفته لان قوله عليه السلام مقدم على اقوال الناس".[٢٨]

اكبرصلة الفقه مع التفسير والحديث كونه مستنبط من أدلة الكتاب والسّنّة.

وقد أوضح عبد المحسن بن حمد العباد البدر في كتابه " أهمية العناية بالتفسير والحديث والفقه " أهمية الجمع بين معرفة الحديث والفقه، وأن الفقيه لابد له من الحديث، والمحدّث لابد له من الفقه، نقلا عن الإمام أبي سليمان الخطابي في مقدّمة معالم السنن:

"وقد رأيت أهل العلم في زماننا قد حصلوا حزبين، وانقسموا إلى فرقتين: أصحاب حديث وأثر، وأهل فقه ونظر، وكل واحدة منهما لا تتميّز عن أختها في الحاجة، ولا تستغني عنها في درك ما تنحوه من

البغية والإرادة؛ لأن الحديث بمنزلة الأساس الذي هو الأصل، والفقه بمنزلة البناء الذي هو له كالفرع، وكل بناء لم يوضع على قاعدة". وقال ايضا: "ومن أهم المهمات لطالب العلم أن يكون في دراسته جامعاً بين الحديث والفقه، بين الدليل والمدلول، فلا تكون دراسته متمحضة في معرفة كثرة الطرق للأحاديث، مغفلة معرفة المسائل الفقهية وأقوال أهل العلم فيها، وفي مقابل ذلك لا تكون مهمته منحصرة في معرفة المسائل الفقهية دون عناية بمعرفة أدلتها وترجيح الراجح فيها؛ لأنه إذا أخلّ بجانب الفقه فاته الكثير من معرفة مسائله وأحكامها، وإن أخلّ بجانب الحديث فاته العلم بأدلة المسائل الفقهية".[٢٩]

صلة الفقه بالتفسير وعلوم القرآن:

قال محمد مصطفوي في فلسفة الفقه: " يمثل الكتاب الكريم المصدر الاول والأساس للفقه الاسلامي ولا مجال للفقيه الا بالرجوع الى القرآن... ومن الواضح هن هناك علاقة راسخة ومتبادلة بين علمى التفسيروالفقه, فالتفسير يزود الفقه بقواعد و ضوابط التفسيربهدف آيات الأحكام والسنة النبوية في حين ان الفقه يزود التفسيربما وصل اليه من استناجات فقهية واكتشافات دلالية من خلال الجهد الفقهي , ومن هنا فان علمى التفسيروالفقه يتبادلان فيما بينهما الوسائل والتقينات المتصلة بمجالي التفسير والدلالة. هذه هي العلاقة التقليدية القائمة بين القرآن والفقه والقرآن والسنة".[٣٠]

علاقة الفقه بالتفسير(بواسطة اصوله):

"واما اصول الفقه فانها من ادوات تفسيرالقرآن وانها لنعم العون على فهم المعاني وترجيح الاقوال وما احوج الى معرفة النص والظاهر والمجمل والمبين والعام والخاص والمطلق والمقيد وفحوى الخطاب ولحن الخطب ودليل الخطاب وشروط النسخ ووجوه التعارض واسباب الخلاف وغير ذالك من علم الاصول".[٣١]

صلة الفقه بعلوم الحديث:

قال المصطفوي: "وفي مطلق الأحوال هناك مرحلتان في تعاطي الفقهاء للحديث: المرحلة الأولى: التثبت من اصل صدورالحديث وتحديد موقعه بين نظائره وهي من مهمات علماء الحديث وعلم الحديث يتكفل بهذه المهمة تحديدا, علم رجال الحديث ودرايت الحديث... المرحلة الثانية. البحث عن دلالة الحديث وتحديد المراد منه وهو ما يصطلح عليه ب "فقه الحديث" وهو مهمة اساسية لعلماء الفقه و علم الفقه. وعليه فان علم الفقه يحتاج الى علم الحديث ليثبت العرش ومن ثم يأتي دورالفقه كي ينقش عليه باستخدام ادوات التفاهم ولاستنتاج, فعلم الحديث يكتشف النص للفقه ودور الفقه هو الكشف عن الحكم من النص المكتشف".[٣٢]

وقال الحافظ ابن حجر:

"والمراد بالعلوم هنا العلوم الشرعية وهي:التفسير، والحديث، والفقه.وإنما صار أكثرتوجلا، لاحتياج كل من العلوم الثلاثة إليه.أما الحديث فظاهر. وأما التفسير، فإن أولى ما فسر به كلام الله تعالى – ما ثبت عن نبيه – عليه الصلاة والسلام – "ويحتاج الناظر في ذلك إلى معرفة ما ثبت مما لم يثبت". وأما الفقه فلاحتياج الفقيه إلى الاستدلال بما ثبت من الحديث دون ما لم يثبت، ولا يتبين ذلك إلا بعلم الحديث".[٣٣]

واخيرا قول عبد الله بن المبارك يجمع فيه التفسير والحديث والفقه :

"ليكن الذي تعتمد عليه الأثر ، وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث".[٣٤]

الختام:

قد ثبت من الدراسة السابقة العلاقة بين هذه العلوم الثلاثة و انكار وجود العلاقة والالتزام بين هذه العلوم والإهمال عنها ينتجي بظهور فرق باطلة كما اشار اليه الملا القاري في كتابه "الرد على القائلين بوحدة الوجود" ذكرا عن المعتزلة "وما أسخف عقول هؤلاء حيث تركوا مطالعة كتب التفسير والحديث والفقه..."[٣٥] وفي مقام آخر " وأما التعليق بالخيالات العقلية والتوهمات النفسية الخارجة عن الأدلة النقلية فليس هذا إلا مذهب الحكماء الفلسفية ومن تبعهم من المعتزلة والخوارج وغيرهم من الأصناف الردية كالوجودية والإلحادية والحلولية والاتحادية والدهرية والمعطلة والمجسمة وأمثال ذلك من المشارب الكفرية فالواجب على العبد أن يعتقد اعتقاد أهل السنة والجماعة إما بطريق التقليد وإما بطريق التحقيق والتأييد ثم يشتغل بعلم التفسير والحديث والفقه التي هي العلوم الشرعية".[٣٦]

المراجع والحواشي:

[١] القزويني محمد بن يزيد ابو عبد الله , سنن ابن ماجه , دار الفكر بيروت بدون سن الطباعة ج ١ ص ٨١.
[٢] العسقلاني احمد بن علي بن حجر , فتح الباري , دارالمعفرة- بيروت ١٣٧٩ هـ , ج ١ ص ١٤١.
[٣] السيوطي عبد الرحمان بن ابي بكر جلال الدين , الاتقان في علوم القرآن , دار ابن كثير- دمشق , ١٩٨٧ , ج ٢ ص ١١٩٥.
[٤] السيوطي عبد الرحمان بن ابي بكر جلال الدين , الحاوي للفتاوى , دار الكتب العلمية- بيروت , ٢٠٠٠ م , ج ١ ص ٢٤٥.
[٥] الرفاعس احمد بن علي بن ثابت , البرهان المؤيد , دارالكتاب النفيس- بيروت ١٤٠٨ هـ , ص ٨٨.
[٦] القارئ ملا علي بن سلطان محمد الهروي, الرد على القائلين بوحدة الوجود , دار المأمون للتراث-دمشق ١٩٩٥ , ص ٩٢.
[٧] ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي , تلبيس ابليس , دار الفكر للطباعة-بيروت ٢٠٠١ م ص ١١٣.
[٨] المناوي زين الدين عبد الرؤف , التيسير بشرح الجامع الصغير , مكتبة الامام الشافعي-الرياض ١٩٨٨ م ج ١ ص ٢٥٨.
[٩] المناوي زين الدين عبد الرؤف , التوقيف على مهمات التعاريف , دار الفكر- بيروت ١٤١٠ هـ , ص ص ٥٢٤.
[١٠] الأسيوطي المنهاجي شمس الدين محمد بن احمد , جواهر العقود , دار الكتب العلمية- بيروت , ١٩٩٦ م , ج ١ ص ٣٦٨.

[١١] العسقلاني , فتح الباري , ج ١ ص ١٤١.

[١٢] السيوطي , الاتقان , ج ٢ ص ١١٨٩.

[١٣] ابن عاشور محمد طاهر بن محمد , التحرير والتنوير , مؤسسة التاريخ العربي- بيروت ٢٠٠٠ م , ج ١ ص ١٠.

[١٤] الآلوسي ابو الفضل محمود , روح المعاني , دار احياء التراث العربي-بيروت بدون سن الطباعة , ج ١ ص ٥.

[١٥] ابن عاشور , ج ١ ص ١٣.

[١٦] المصدر السابق ج ١ ص ١٤.

[١٧] الذهبي محمد حسين الدكتور , التفسير والمفسرون , مكتبه وهبيه-القاهرة بدون سن الطباعة , ج ١ ص ٢٨-١٠٨, مختصرا وملخصا.

[١٨] محمود الطحان , تيسير مصطلح الحديث , قديمي كتب خانه-كراتشي بدون سن الطباعة , ص ١٤.

[١٩] المباركفوري عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد , مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح , ادارة البحوث العلمية-بنارس الهند ١٩٨٤ م , ج ١ ص ٣٧٩.

[٢٠] الدكتور يوسف القرضاوي , المرجعية العليا فى الاسلام , مكتبة وهبيه-القاهرة بدون سن الطباعة , ج ٢ ص ٥٨.

[٢١] نورالدين عتر , منهج النقد في علوم الحديث , دارالفكر-دمشق ١٩٩٧ م , ص ٣٧-٧٢ ملخصا.

[٢٢] محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري , لسان العرب , دار احياء التراث العربي-بيروت ١٩٨٨ م , ج ١٠ ص ٣٠٥.

[٢٣] ابن نجيم زين الدين , البحرالرائق شرح كنز الدقائق , ايچ ايم سعيد كمبني-كراتشي بدون سن الطباعة , ج ١ ص ٣.

[٢٤] الموسوعة الفقهية الكويتية , دار السلاسل- الكويت ١٤٠٤ ه ج ١ ص ٢٣-٣٢.

[٢٥] النساء: ٨٣.

[٢٦] القرضاوي , ج ٢ ص ٦٣.

[٢٧] احمد بن حنبل , مسند احمد بن حنبل , مؤسسة الرسالة-بيروت ١٩٩٩ م ج ٤ ص ٢٢٥.

[٢٨] ابن الجزي محمد بن احمد الكلبي الغرناطي الاندلسي , التسهيل لعلوم التنزيل , المكتبة العصرية-بيروت ٢٠٠٣ م , ج ١ ص ١٦.

[٢٩] عبد المحسن بن حمد العباد البدر , فهرسة مكتبة الملك فهد الوطني-١٤٢٥ ه , ص ٤٩-٥٠.

[٣٠] المصطفوي محمد , فلسفة الفقه , مركز الحضارة لتنمية فكر الاسلامي-بيروت ٢٠٠٨ , ص ٩٩-١٠٠.

[٣١] ابن الجزي , ج ١ ص ١٩.

[٣٢] المصطفوي , ص ١٠١-١٠٢ بتصريف يسير.

[٣٣] العسقلاني احمد بن علي بن حجر, النكت على كتاب ابن الصلاح , عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية-المدينة المنورة ١٩٨٤ م , ج ١ ص ٢٢٧.

[٣٤] البغدادي ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي الخطيب , الفقيه والمتفقه , دار ابن الجوزي بالسعودية ١٤١٧ ه , ج ٢ ٤٤.

[٣٥] القارئ ملا علي, الرد , ص ٨٢.

[٣٦] المصدر السابق ص ٩٣.